

## الرفاهية

### ليست حكرًا على فئة صناعتها الكلام

الأهرام: ٢٥-١١-٧٧

بقلم: إبراهيم نافع

لا يتخذ قرار الرحلة إلى القدس لمواجهة الإسرائيليين، وصقورهم، إلا قائد يضع قدره على يديه ، مختاراً لأصعب الطرق واقصرها، تاركاً للعالم شعاراتها الزائفة ونجاحاتها القصيرة المدى لهؤلاء الذين يزايدون على حياة الآخرين ويهربون من تلبية أي نداء قد يبذل فيه الدم والمال.

ولا يتخذ هذا القرار إلا فاقد أتضح على العالم وأحتك بقادته، وفهم لغة المربع الأخير من القرن العشرين، التي تؤكد أنه ما من مشكلة على هذه الأرض لا يملك إيجاد حل لها، وأن الحل يمكن في مواجهة الحقيقة المباشرة التي يكون لها طرف فيها حق القبول والرفض، وذلك العالم الذي يمقت سيرة الحروب لأنه عاش مآسيها ومخازيها وهولاتها وتؤكد أنه لا يوجد فيها منتصر ومهزوم . ولا هؤلاء الذين يصرخون - من بعيد - في الهواء أن الطريق الوحيد لنضالهم هو الدم الذي يعطيه الشباب المصري والأباء المصريون والأمهات والأطفال وإلا فإن مصر انهزامية وتصفوية ... إلخ من العبارات التي تدفع الإنسان إلى الغثيان.

### حسابات الرجل أخطأوا فهمها

ويبدو لى أن البعض في العالم العربي قد أخطأوا فهم حسابات واستراتيجية أور السادات منذ أن تولى مهام منصبه كقائد لأكبر دولة عربية، مع اعترافنا بغير حجم المفاجأة المذهلة الأخيرة .. والأسباب التي قد نوجز بعضها هي :

١- أن الرجل بدأ ولايته يسمح شامل لما كان يثن منه جماهير الشعب ، فكا هدفه الأول أن ليله ونهاره على قطع هذه الأيدي التي كانت تمت مادة في ظلام الليل لتسلب المواطن حريته تاركين أهلهم وذويهم في ألم وحيرة عن مصير عائلهم أو أبنائهم ، وصولاً لأن يعيد إلى كل المواطنين أيمانهم الكامل ببلدهم ، وقاموا

عندئذ أنه أراد تحقيق بعض الانتصارات الداخلية ، انشغل في قضية احتلال الأرض المصرية والأراضي العربية والقضية الفلسطينية.

٢- أراح بعد ذلك عن طريق المواطنين هذه المجموعات التي تذكرت لحرية المواطن وأمنه ، واعتقدت أنها قد سيطرت على مقادير حكم هذه الدولة العظيمة ، فأطاح بها في ساعات قليلة معتمداً في ذلك على جماهير الشعب التي كانت تتمنى الخلاص منها.

٣- أن الرجل هو يسابق الزمن في إيجاد نوع م الاستقرار الداخلى المنشود كان يرتب للمعركة ويعد حساباتها ، وواجه خلال فترة الأعداد للحرب أقويل وإشاعات وسخافات لا يمكن للحق أن يتحملها إنسان ، ومع ذلك فاجأنا بقرار المعركة وأذهلنا وأذهل العدو والعالم بالأداء العظيم للقوات المصرية الذى لا بد أن يكون وراءه تدريب شاق متواصل.

٤- دخل سلاح البترول العربى بعد بداية المعركة العظمية بعد أن ذهل - كما قلنا - الجميع بالعبور المتمكن للفتاة وانهايار خط بارليف فى ساعات ، وجاءت بعد ذلك قرارات زيادة أسعار البترول ، وبدأت مناقشة قيمة اشتراك فيها بعض المسؤولين فى الدول العربية عما إذا كان انتصار أكتوبر هو الذى أدى إلى زيادة أسعار البترول هى مرحلة طبيعية لمراحل ارتفاع الأسعار، وفى اعتقادى أن الذين أثاروا هذه القضية عندئذ كانوا يريدون القول بأنه لا فضل للمعركة فى هذه الثروات فى البداية حتى لا ينادى أحد بنصيب ثابت فيها .. وليكن ..

### لا تطلبون من أحد شيئاً

٥- زمن البداية - وللحق أيضاً - كان الرجل يقول دائماً لمعاونيه " لا تطلبوا من أحد شيئاً ، فإننا لا نستجدي". وعندما تتقدم أى دولة عربية بأى مبلغ من المال ، كان يخرج على الشعب ليعلنها ويشكر الذين قدموها مرات ومرات ، وفى اعتقادى أنه كان لا يرد أن يريد أن تطلب مصر المساعدات إيماناً منه أن الأشقاء العرب يعلمون تماماً مدى ما تحمله الشعب المصرى من دم ومال

وتضحيات على مدى ٣٠ عاماً ، ويعلمون أيضاً ما ترتب على المعركة من ضرورة استعاضة الأسلحة التي فقدت في الحرب ثم إعادة تعمير المدن التي دمر بعضها بالكامل كمدينة السويس وإعادة الاقتصاد القومي المصري إلى حالته الطبيعية بعد أن فرغت خزائن المال على الحروب المتتالية.

## القضية القومية

٦- لا ننكر أن بعض الدول العربية قدمت مشكورة عندئذ بعض الأموال التي ساعدت على سد ثغرة من ثغرات ضعف الاقتصاد القومي في أعوام ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ولكن كانت كلها بالقدر الذي يطفى ظمأ هذا الاقتصاد فقط.

٧- ومع ذلك طلب الرجل أيضاً الاعتماد على الذات المصرية والجهد المصري في البناء والتعمير في تصحيح المسار الاقتصادي والاجتماعي.

وقد كنت من بين الذين كتبوا يوم ١٩ يناير بعد أحداث الشغب أنه "لا إنقاذ للاقتصاد المصري إلا بالأيدي المصرية" ، ولم أذكر يوماً ولو تلميحاً أن كلمة عتاب للدول العربية الغني أيماناً منا بالقدرة المصرية والكرامة المصرية والقوة المصرية التي لا بد لها أن تتحقق في يوم من الأيام ، والغريب أن أكثر الدول تشجاً هذه الأيام دولة لم تقدم تضحيات بشرية أو مالية ، ودولة أخرى من دول مواجهة استفادت إفادة كبرى بعد المعركة فاستعاضت كل ما فقدته من سلاح في معركة أكتوبر من الاتحاد السوفيتي وحصلت على كل دعم حصلت عليه مصر بنفس النسبة والقيمة رغم اختلاف الأعباء وتوزيعها.

## لا نريد منحاً بل قروضاً

٨- وأخيراً أعلن الرجل بكل قوة إننا لا نريد أي منحه أو أي استجداء "تريد فقط قروضاً تساعد في دفع عملية التنمية وإصلاح المسار الاقتصادي المصري وصولاً لأن يقف هذا الاقتصاد على قدميه وسدد عن طريق عوائد كل الأموال التي افترضناها" وبعد مفاوضات طويلة مضية قدمت دول الخليج قرضاً بمبلغ ٢ مليار دولار بقي منها ٦٥٠ مليون دولار كان من المفروض أن تحصل عليها

مصر نهاية هذا العام ووضعت الشروط تلو الشروط على طريقة استخدام هذه المبالغ . وكان من أهمها أن يقوم صندوق النقد الدولي وبعض البنوك الأجنبية على مراقبة عمليات الصرف التي تقوم بها مصر ، وكان على مصر أن تقبل هذه الشروط لأنها جادة كل الجد في تصحيح مراكزها المالي والاقتصادي وليس هناك ما نريد إخفاءه على أحد.

### أيضاً مراكز قوة اقتصادى

٩- أن الذين يقولون أن السادات ذهب إلى القدس إنقاذاً لاقتصاد بلاده المريض يقعون فى خطأ جسيم :

أولاً : أن هذا العام بالذات يعتبر عام انتصار اقتصادى لمصر ، إذا نؤكد الأرقام المعدنية لهذا العام تحسناً فى المركز المالي والاقتصادى فى جميع الجهات ، يفضل المعونات والمساعدات التي حصل عليها السادات نفسه من أمريكا والدول الأوروبي والدول العربية والهيئات الدولية ، ولهذا نقول أن عام ٧٧ هو نقطة تحول فى الاقتصادى فى جميع الجهات ، بفضل المعونات والمساعدات التي حصل عليها السادات نفسه من أمريكا والدول الأوربية والدول العربية والهيئات الدولية ، ولهذا نقول أن عام ٧٧ هو نقطة تحول فى الاقتصاد المصرى منى أسس اقتصادية سليمة.

ثانياً : أن الرئيس السادات قد طلب أن توفر الميزانية الجديدة التي تعرض بعد أيام على مجلس الشعب المصرى جميع الأموال التي تحتاجها القوات المسلحة المصرية ، وفى ذلك فإن الرئيس السادات يعلم أن الإنفاق العسكرى سيستمر سواء تمت لتسوية السلمية أم لم تتم لأن القوات المسلحة لابد أن تكون دائماً على استعداد لحماية الأمن القومى الاقتصادى القومى فى حالة السلم والحرب، وفى الوقت نفسه فإن الميزانية الجديدة تخصص ٢٢٠٠ مليون جنيه لمشروعات التنمية ، فهو دائماً يؤمن أن المعركة والتنمية لابد أن يسيرا جنباً إلى جانب فهما يكملان لبعضها فى جميع الظروف.

ثالثاً : أن كل المؤثرات تؤكد حقيقة أن الاقتصاد المصرى أقوى من الاقتصاد الإسرائيلى نفسه وإذا وقعت المعونات مثلاً عن مصر فإن هذا الاقتصاد يمكن أن يسير بمقوماته الأساسية كالصناعة والزراعة والسياحة .. الخ . وذلك يعكس الاقتصاد الإسرائيلى ، فالاقتصاد المريض إذن هو الاقتصاد الإسرائيلى، فالاقتصاد المريض إذن هو الاقتصاد الإسرائيلى وكنا بطبيعة الحال نسمع كل يوم عن تخفيض جديد لليرة الإسرائيلىة وإلغاء الدعم عندهم والتضخم الذى وصلت نسبته إلى ٤٠% ورفع الأسعار للحد من الاستهلاك وامتصاص القوة الشرائية.

إذن : أنور السادات قد ذهب إلى القدس من مركز قوة اقتصادى إلى جانب مركز القوة السياسى والعسكرى.

### قرار حضارى

١٠- لا ننكر بطبيعة الحال أن تمام التسوية السلمية سيؤثر تأثيراً مباشراً على الاقتصاد المصرى. صحيح أننى اختلف مع البعض الذى يقول أن الاتفاق العسكرى ينخفض انخفاضاً كبيراً تبعاً لذلك لأننى قلت أن الإنفاق العسكرى ضرورى لحماية الأمن والاقتصاد .. ولكنى انفق معهم فى أن ترتيب الدولة الحرب غير ترتيب الدولة للمسلم .. كما أن السلم يساعد على اجتذاب رعوس الأموال الأجنبية وتنجح سياسة الانفتاح الاقتصادى إنجاحاً تاماً بعد التأكد من عودة السلام واستقراره فى المنطقة بالإضافة إلى أن الضغوط الصهيونية على المراكز المالية الدولية ستخف حدتها.

لجميع هذه الأسباب قلنا أن الرجل جد شجاع ولذلك قلنا أنه رجل حضارى.

ونضيف أنه أيضاً إنسان.

أنه يختار بعد هذه الحسابات الطويلة المرهقة خير شعبه أولاً .. ويحافظ على أولاده الضابط والجنود .. ومن حقهم عليه بعد الأداء المذهل فى القناة أن يحمم لأبنائهم وأمهاتهم وأولادهم وأخوتهم إلى أن يأتى اليوم الذى لا مقر فيه من تقديم حياتهم قريانا لمجد هذا الوطن وعزتهم ، كما اختار أيضاً الحفاظ

على عروبة مصر بعدم التفريط في كل حق من حقوق دول المواجهة بحتمية  
الانسحاب من الأراضي التي احتلت بعد عام ١٩٦٧ وضمان الحقوق  
المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حق إقامة دولة فلسطينية مستقلة . أكاد  
أقول لأكبر غلاة المتطرفين رفضاً في أى دولة عربية "أعطني جملة واحدة  
مفيدة تريدها لم يتضمنها خطاب المواجهة التاريخية للرئيس السادات أمام  
الكنيست" . وأقول "كفانا هتافات وشعارات نتسول بها التأييد الشعبي ولتبدأ  
الدول العربية معاً معركة حضارية في المنطقة نزرع فيها الصحراء ونكمل معاً  
كعوب مشوار التقدم والرفاهية لجميع شعوبها.. لأن الرفاهية ليست حكراً على  
فئة متميزة صناعتها الكلام.

وأخيراً إننا لا نعتذر أبداً عن قرار السادات.